كما هي العادة فيمن ادعى على خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه على وجهه، كما إذا قال لك من يحاجك في مسألة: أنت من دأبك كيت وكيت، فتقول: نعم أنا من دأبي كيت وكيت لكن لا ضير علي ولا يلزمني من أجل ذلك ما ظننت، فالرسل صلوات الله عليهم كأنهم قالوا: إن ما قلتم هو كما قلتم، لكن ذلك لا يمنع الرسل وفضل الله علينا.

5- إن الأصل في إنما أن تجيء لأمر من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره وإنما يراد تنبيهه فقط، أو لما هو منزل هذه المنزلة.

تفسير هذا أنك تقول للرجل: إنما هو صاحبك القديم، وإنما هو أخوك، لمن يعلم ذلك ويعترف به، لكنك تريد أن تنبهه لما يجب عليه من حرمة الصاحب وحق الأخوة لترققه وتستعطف قلبه، ألا ترى إلى أبي الطيب حين يقول:

إنما أنت والد والأب القا ... طع أحني من واصل الأولاد

لم يرد أن يعلم كافورا أنه لابن الأخشيد مولاه بمنزلة الوالد، ولا كافور في حاجة إلى أن يعلم بذلك، لكنه أراد أن يذكره بالأمر المعلوم ليجعله ذريعة إلى استدعاء ما يستوجبه من العطف والحنان، ونظير ذلك قولهم: إنما يعجل من يخشى الفوت، وقوله تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ} 1. وأما ما هو منزل هذه المنزلة فكقوله تعالى حكاية عن اليهود: {إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} 2، فهم قد ادعوا أن إصلاحهم أمر جلي ظاهر، ولذا جاء الرد عليهم مؤكدا بأن واسمية الجملة وتعريف الخبر باللام وضمير الفصل وتصدير حرف التنبيه حيث قال: {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ} 3. ونحو ذلك قول ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير:

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

حيث ادعى أن ثبوت هذه الصفة لممدوحه أمر ظاهر، لا يخفى على أحد، كما هو دأب الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا الشهرة فيما يصفون به ممدوحهم، ألا ترى إلى البحتري حين يقول:

لا أدعي لأبي العلاء فضيلة ... حتى يسلمها إليه عداه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 سورة الأنعام الآية: 36.

2 و 3 سورة البقرة الآيتان: 11 و12.

هذا وقد علم بالاستقراء أن أحسن موقع تستعمل فيه إنما إذا كان الغرض منها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها نحو: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} ، فإنه تعريض بذم الكافرين من حيث إنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل فأنتم في طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب, ونظيره: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا} 1 إذ المراد أن من لم تكن له من هذه الخشية، فكأنه ليس له أذن تسمع، ولا قلب يعقل، فالإنذار وعدمه سيان. وعلى ذلك جاء قوله:

أنا لم أرزق محبتها ... إنما للعبد ما رزقا

فهذا تعريض بأنه لا مطمع له في وصلها فهو يائس منه:

6- لأنما مزية على العطف، وهي أن يعقل منها إثبات الفعل للشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العطف، فإنه يفهم منه أولا الإثبات ثم النفي، نحو: محمد قائم لا قاعد، أو بالعكس نحو: ما محمد قائما بل قاعد.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 سورة النازعات الآية: 45.